سفينة البر وسفينة البحر: تواشج الرمز والوظيفة في الشعر الجاهلي

*** د. فرهاد ديوسالار**

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها في كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران.

*البريد الإلكتروني: Email:farhad49divsalar@gmail.com; f.divsalar@iau.ac.ir

الاستلام	2025/4/20	المراجعة	2025/5/15	القبول	2025/6/5	النشر	2025/7/١

الملخص:

احتلّ وصف الناقة في الشعر الجاهلي مكانة بارزة، نظراً للأهمية التي كانت تتمتع بها في حياة الجاهليين، حيث مثلت وسيلة التنقل الأساسية في الصحراء، فضلاً عن دورها الاقتصادي والاجتماعي. وقد لجأ الشعراء إلى تشبيه الناقة بالسفينة، مستمدّين هذا التشبيه من البيئة البحرية التي عرفوها من خلال التجارة والسفر. إن هذه التعابير والاستعارات التشبيهية ليست مجرد ألعاب لغوية، بل هي انعكاس للرؤية العميقة للإنسان الجاهلي للوظائف الوجودية لهذين العنصرين. وهذا الأمر دفعنا إلى دراسة هذه الظاهرة عند الجاهليين لأهميته؛ فدرسنا الجذور التاريخية عند العرب الجاهليين في منهج وصفي تحليلي. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أسلوب التشبيه وأوجه التشابه بين سفينة البر (الناقة) وسفينة البحر في الشعر الجاهلي، من خلال استقراء النصوص الشعرية الجاهلية وتحليل دلالاتها، محاولا تسليط الضوء على الأبعاد الثقافية والجمالية لهذه التشبيهات والاستعارات، ودراسة التفاعل بين البيئتين البرية والبحرية في تشكيل المخيلة الشعرية للشعراء الجاهليين، وتبيين دور الناقة كرمز ثقافي يجسّد هوية العربي الجاهلي وعلاقته بالفضاء البرّي والبحري من خلال أشعارهم. ومن النتائج التى انتهى إليها البحث، الكشف عن عمق التلاقي بين الصورتين في الخيال الشعري الجاهلي، مما يعكس ثقافةً تعايشت مع بيئتين متباينتين: الصحراء والبحر. ويعتبر تشبيه الناقة بـسفينة البر انعكاساً لعمق الإدراك الجاهلي لوظيفة الناقة الحيوية، مماثلة لوظيفة السفينة في البحر.

الكلمات المفتاحية:

الشعر الجاهلي، الناقة، أسلوب التشبيه، سفينة البر، سفينة البحر.

The Ship of the Desert and the Ship of the Sea: The Intertwining of Symbol and Function in Pre-Islamic Poetry

*** Farhad Deusalar:**

Associate Professor, **Department of Arabic Language and Literature**, **Islamic Azad University in Karaj**, **Karaj**, **Iran**.

*Email: farhad49divsalar@gmail.com

Abstract:

In pre-Islamic poetry, the depiction of the camel holds eminent significance, as it played a pivotal role in the life of desert Arabs - serving both as the primary means of traversing boundless deserts and as a potent symbol of economic power and social standing. The poets of that era, drawing inspiration from maritime environments encountered through trade and travel, artfully likened the camel to a ship. These profound metaphors transcend mere linguistic play, reflecting the pre-Islamic (Jaheli) people's deep philosophical understanding of these entities' existential functions. Just as the camel delivers from swirling sandstorms, so does the ship rescue from tempestuous waves - both vessels of salvation. This rich symbolic interplay compelled us to conduct a descriptive-analytical study of the phenomenon's historical roots among pre-Islamic Arabs. Our research examines the parallel imagery between the "ship of the desert" (camel) and the ship of the sea in classical Arabic poetry through close textual analysis of poetic examples and their latent meanings. In this exploration, we illuminate the cultural and aesthetic dimensions of these metaphors while investigating how two seemingly opposing environments - desert and sea - jointly shaped the poetic imagination of Jahili bards. Among our key findings is the discovery of how camel and ship imagery converge in the pre-Islamic poetic consciousness, mirroring a sophisticated desert culture that harmonized these dual symbols. The camel's characterization as a "land ship" particularly reveals the poets' profound appreciation of this creature's vital role - mirroring maritime vessels in its capacity to navigate perilous wastelands and safely deliver travelers to their destinations.

Key words: Pre-Islamic Poet, camel, *Simile style,* ship of the desert, ship of the see.

المقدمـــــة:

شكّلت الإبل، وخاصة الناقة، عنصراً أساسياً في حياة العرب الجاهليين، حيث كانت وسيلتهم للتنقل والبقاء في بيئة قاسية. وقد انعكست هذه الأهمية في الشعر الجاهلي، الذي أطنب في وصف الناقة، معتمداً على التشبيهات الحسية التي تربط بينها وبين عناصر أخرى، كالسفينة. ومن أبرز هذه التشبيهات، تشبيه الناقة بـالسفينة، والمفازة بالبحر، مما يدلّ على تأثر الشعراء بالبيئة البحرية، سواء من خلال التجارة أو الثقافة المتبادلة مع الحضارات المجاورة. من التشبيهات الشائعة في الشعر الجاهلي تسمية الناقة والإبل بسفينة البر على سبيل المجاز، حيث رأى الجاهليون تشابهاً كبيراً بينهما من حيث القدرة على حمل الأثقال وقطع المسافات الشاسعة. وقد توسّع الشعراء في هذا التشبيه، فقاسوا بينهما، وذكروا أوجه الشبه بينهما في أشعارهم. ونظراً لكثرة الأشعار التي تناولت هذا الموضوع، فسنتناول بعض النماذج البارزة دون الإطالة، مع انتقاء ما يُغني القارئ ويدلّل على الظاهرة الأدبية بدقة.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أوجه التشابه بين الناقة والسفينة في الشعر الجاهلي، وكيفية توظيف هذا التشبيه لتعزيز الصورة الشعرية. كما تسلط الضوء على الدلالات الثقافية والبيئية التي تكمن وراء هذه المقارنة.

كانت وسائل النقل في العصر الجاهلي تعكس طبيعة الحياة البدوية والصحراوية، مع اعتماد كبير على الإبل والخيول، وتشترك جميعها في البساطة والاعتماد على قوة الحيوانات وملاءمتها للبيئة. كما لعبت هذه الوسائل دورًا حيويًا في التجارة والغزو وبناء النفوذ القبلي

خلفية البحث: يبدو أن موضوع التشبيهات بين سفينة البر (الإبل) وسفينة البحر (السفن) عند الجاهليين لم يُدرس بشكل مستقل أو مفصل في المصادر المتاحة عبر النتائج المقدمة. ومع ذلك، يمكن استنباط بعض الأفكار من خلال التحليل الاستشهادي بأشعار الجاهليين، حيث كانت الإبل تُوصف غالبًا بـسفينة البر في الشعر الجاهلي، أما السفن فكانت رمزًا للبحر والمغامرة. إن الموضوع لم يُدرس بشكل منفصل، لكنه يُعتبر جزءًا من التحليلات الأوسع عن أدوات النقل والرمزية في الشعر الجاهلي. يمكن تطويره عبر جمع الشواهد الشعرية التي تدمج بين الصورتين، مع تحليل السياقات الثقافية واللغوية.

أهمية الموضوع وأهدافه: يُعدّ هذا التشبيه من أبرز الصور الفنية في الشعر الجاهلي، حيث يعكس براعة الشاعر الجاهلي في الربط بين عناصر الطبيعة وحياته اليومية. كما يكشف عن مدى تأثره بالبيئة الصحراوية والبحرية، حيث جمع بين عالمين متمايزين (الصحراء والبحر) عبر تشبيهات بارعة. ومن خلال تتبع هذه التشبيهات، نستطيع فهم رؤية الجاهليين للحيوان والجماد وكيفية تحويلها إلى صور شعرية حية.

أهداف البحث والأسئلة: الكشف عن الأبعاد الثقافية والجمالية للتشبيهات البحرية في الشعر الجاهلي؛ ودراسة التفاعل بين البيئتين البرية والبحرية في تشكيل المخيلة الشعرية، و إبراز دور الناقة كرمز ثقافي يجسّد هوية العربي الجاهلي وعلاقته بالفضاء. فيحاول هذا المقال تقصي وتحليل الأبعاد الثقافية والجمالية لهذه التشبيهات والاستعارات، وذلك بالمنهج الوصفي التحليلي. وخلال المحتوى أعلاه، ستعطى إجابة جديرة ومجدية على الأسئلة الأساسية التالية:

يتمحور موضوع البحث حول إشكالية فحواها: ما مدى إبراز التشابه الرمزي والعملي بين سفينة البرّ وسفينة البحر؟ وهذه الإشكالية تحيلنا إلى مجموعة من التساؤلات يستند إليها هذا البحث أهمها:

كيف وظّف الشعراء الجاهليون عناصر البيئة البحرية (الأمواج، الملاحة، العواصف) في وصف حركة الناقة عبر الصحراء؟ ما الدلالات الرمزية والثقافية لتشبيه الصحاري بالبحار والناقة بالسفينة في الوعي الجاهلي؟ كيف أسهمت هذه التشبيهات في بناء الصورة الفنية للقصيدة الجاهلية؟ كمحاولة للإجابة عنها وانطلاقا من هذه التساؤلات، يأتي بحثنا في «سفينة البر وسفينة البحر: تواشج الرمز والوظيفة في

الشعر الجاهلي». وهذا ما سيتّضح بعد استعراض نماذج من آرائهم في ثنايا هذا التقرير وسنعيد قراءة بعض الأمثلة في الشعر الجاهلي.

فرضيات البحث: اعتمد الشعراء على مفردات بحرية (كالأمواج، والرياح، والملاحة) لوصف مشاقّ السفر على الناقة، مما يُظهر تشابهاً إدراكياً بين البيئتين. يحمل تشبيه الصحاري بالبحار دلالة على اتّساع الفضاء الصحراوي ورهبته، مماثلاً لرهبة البحر في المخيلة الجاهلية. ساهم التشبيه البحري في تعميق البعد الدرامي لرحلات الصحراء، عبر ربطها بأخطار البحر وغموضه.

تحديد المفاهيم:

إن المتأمل للأشعار الجاهلية، يجد أن ورود هذه الظواهر البحرية التى تعتبر إشارات واضحة بينة فى الشعر الجاهلى، يعنى؛ أن الجاهلى كان يملك تصورا بديهيا عن البحر وعن التجارة البحرية من سواحل الخليج الفارسي إلى المحيط الهندى وإلى البلدان المجاورة، ولقد تعامل مع البحر حتما وكان أهل بحريّة وكلّ المزاعم التى قيلت عن جهل العرب الجاهلى بالبحر وما يتعلق به وخوفه منه؛ فلا محل لها من الإعراب. وأنّ هذه السفن والخلايا المذكورة لم تَكن كلها مصنوعة من حديد ولا من فولاذ، إلا بعض أجزائها، وكانت المادّة الأوّليّة لصنعها من الخشب؛ ويعني ذلك أنّه كان وراء مهنة السفانة و الملاحة مهن أخرى مثل النجارة و الحدادة والخياطة لصنعها وللإصلاح من بعض شأنها، على الأقلّ، حين تتعرّض لبعض البِلى والعَطَب والهدم. وأن ذكر هذه المهن وورود بعض معلومات منها فى أشعار الجاهليين، يدلّ على أنهم قد صنّفوا ثقافتهم ومعارفهم بالشعر ويمكن بحق أن نسمّيها ديوان العرب. وأن الناقة حقا عمود مهم من أعمدة هذا الديوان.

الناقة: دعا القرآن الكريم إلى تأمل الناقة في خلقها، والتفكّر فيها، وفي خلق السماء والأرض والجبال، بل قدّم ذكرها على السماء والأرض والجبال، فقال الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.(سورة الغاشية، الآيات ١٧-٢٠) تكون الناقة في العصر الجاهلي كنز الصحراء وسفينتها ورمز البقاء والعزة. وإنها عماد الحياة في الصحراء، مصدرًا للغذاء والنقل والكساء. اعتبرها العرب كنزًا ثمينًا يضمن بقاءهم في البيئة القاسية، فكانت تُمَثِّل الثروة والمكانة الاجتماعية. في الشعر الجاهلي، كانت الناقة موضوعًا للوصف، تُشَبَّه بالسفينة في قطعها الفيافي الشاسعة، أو بالطير في سرعتها. كما كانت أداة حرب في الغزوات، وحليفًا في الترحال.

في العصر الجاهلي، ارتبطت الناقة بقيم الصبر والكرم، حتى صارت جزءًا من هوية الجاهليين. لولاها لما استطاع أن يواجه تحديات الصحراء، ولما سطّر تلك الصور الخالدة في شعره وتاريخه. إن الناقة رمزت الصبر والعزة، حتى أطلق عليها العرب أسماء تمجد فضلها، كالمطية الجلول وسفينة البر. وفي الشعر الجاهلي، كانت مصدر فخر يحاورها الشاعر بعيون دامعة حين تهزمها المطر، أو يركبها فارس كالسيف ليغير على الأعداء! حملت أحلامهم وأسرارهم، فصارت ورقة ذهبية في كتاب التاريخ. لولاها لاختفى نصف حكاية الجاهلية!

الشعر الجاهلي: هو ديوان العرب الجاهلي ووثيقة العصر التي حفظت لنا أنفاس الصحراء وصهيل الخيل ودموع الفراق على أطلال الديار. صوّر حياة العربي بكل تناقضاتها: من الفخر بالشجاعة إلى الحنين إلى الحبيب، ومن الحكمة إلى البكاء على الرمل الذاهب. تتبارك فيه الصور البلاغية كأشعة الشمس على سيف صقيل، ويظلّ صوت المنشد خالدا كصوت الريح في الجبال. فهذا الشعر هو أول انفجار لروح العرب الجاهليين من أفواه شعرائهم، قبل أن تتحول إلى حروف القرآن!

أسلوب التشبيه: هو ذلك السّحر اللفظي الذي يُقرّب الغامضَ بالواضح، ويُلبس المجرّدَ ثوبَ المحسوس، فيُشعِل في الذهن صورًا تلمع كالنجوم في ليل الأدب.حين يصف الشاعر الناقةَ بالسفينة، فإنّه لا يكتفي بنقل الصورة، بل يمنحها روحًا تُحرّك المشاعر. هو جسرٌ من الذهب بين المعاني والأشياء، يُحوّل الكلمات إلى لوحاتٍ حيّة، ويجعل الحروف تُغنّي. وله روعة وجمال وموقع حسن في البلاغة،

لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويُكسبها جمالا وفضولا، ويكسوها شرفا ونبلا على حد قول أحمد الهاشمي. (الهاشمي، ١٤١٠: ٢٤٧)

التشبيه الحسّي: هو فنّ رسم الصور بالكلمات، حيث يقرّب المعاني المجردة من خلال ربطها بأشياء محسوسة، فيجعل الفكرة أوضح وأكثر تأثيرا في النفس. يكسب النص حيوية وجمالا، كأنه يتحول إلى لوحة مرئية تلامس حواس القارئ. فهو جسر بين الخيال والواقع، يضيء المعنى ويجعله يلمع في الذهن كضوء القمر على الماء. وهو أن يكون طرفا التشبيه مدركان بإحدى الحواسّ الخمس الظاهرة. (المرجع السابق: ٢٤٩)

التشبيه الضمني: هو تشبيه غير مباشر لا يُذكر فيه وجه الشبه أو أداة التشبيه صراحة، بل يُفهم من خلال السياق. كما يرى الهاشمي (نفس المرجع: ٢٧٤) لا يوضع فيه المشبه والمشبه به، في صورة من صور التشبيه المعروفة، ويُفهمان من المعنى ويكون المشبه دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشبه، مثل قول المتنبي:

من يَهُن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميّت إيلام

فيُفهم المعنى من خلال الإيحاء، ويعتمد على الذكاء البلاغي، ويُضفي على الكلام لمسة من الإبداع والعمق، كأنه لغز جميل يثير ذهن المتلقي.

التشبيه الصريح: هو التشبيه المباشر الذي يذكر فيه أركان التشبيه كلها، مثل: «ألفاظه كالعسل حلاوة» (المشبه: ألفاظ، المشبه به: العسل، الأداة: الكاف، وجه الشبه: الحلاوة). يُستخدم لتوضيح الفكرة وإبراز جمالها، وهو أساسي في تعليم البلاغة لسهولة تتبع عناصره.

التشبيه البليغ: هو التشبيه في أقصى درجات الإتقان، حيث يحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، ليُقدّم الصورة في أصفى أشكالها. مثل قولهم: «القلبُ وردةٌ»، حيث يختزل التشابه العاطفي بين القلب والوردة في كلمتين فقط. يُعتبر جوهر البلاغة العربية، إذ يُوحي بالمعنى دون تفصيل، ويُحرّك الخيال بإيجازٍ مدهش. وسبب هذه التسمية كما يرى الهاشمي«أن ذكر (الطرفين) فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في التشبيه.» (المرجع السابق: ٢٧٠)

الصورة التشبيهية: هي لوحة فنية تُنسج بالكلمات، حيث تُقارن فكرة مجردة بشيء محسوس لتعميق الفهم وتكثيف الجمال. مثل تشبيه «الزمن بالنهر» لتصوير اندفاعه وعدم عودته. تعتمد على عناصر التشبيه (المشبه، المشبه به، الأداة، وجه الشبه) لإيجاد صورة ذهنية حية. تُضفي على النص حيويةً وتأثيرًا عاطفيًا، كأنها فرشاة رسام تخطّط المشاعر بالألفاظ. تختلف قوتها باختلاف الإبداع في اختيار المشبه به، فكلما كان غير مألوفٍ كلما أدهش المخيلة. هي روح الأدب التي تحوّل الكلمات من حروفٍ جامدةٍ إلى مشاهدَ نابضةٍ بالحياة.

سفينة البر: يُعدّ تشبيه الناقة بالسفينة، من الصور البلاغية العميقة التي تجسّد روعة التكامل بين عالمي البرّ والبحر، حيث تُشبّه الناقة في صبرها وقدرتها على تحمّل المشاقّ بسفينة تجوب الصحاري الشاسعة. هذا التشبيه، يعكس حكمة الخالق في تصميم الكائنات، فكما أن السفينة تنقل الأمانة عبر الأمواج، فإن الناقة تحمل أثقال المسافرين وتقطع بهم الفيافي القاحلة. في سياق سفينة البر، يُبرز هذا التشبيه دور الإبل كوسيلة نقل حيوية في حياة العرب الجاهليين، ويرمز إلى الصبر والتحمل.

سفينة البحر: في العصر الجاهلي، كانت سفن البحر تُصنع من مواد بسيطة مثل الخشب والحبال، وتعتمد على الأشرعة والمجاديف للملاحة في مياه الخليج الفارسي والبحر الأحمر. استخدمها العرب للتجارة ونقل البضائع بين موانئ اليمن وعُمان والهند والحبشة. كما ارتبطت بالسفر الخطير والمغامرات، مما ألهم الشعراء لوصفها في أشعارهم كرمز للتحدي والمخاطرة. رغم بدائيتها، كانت هذه السفن أساسًا للتبادل الثقافي والاقتصادي بين الحضارات القديمة.

الإطار النظري للبحث

يُعدّ تشبيه الناقة بسفينة البحر من أبرز التشبيهات الحية في الشعر الجاهلي؛ بما أنّه يعكس براعة الشاعر في الربط بين البيئتين الصحراوية والبحرية. وقد استخدم الشعراء الجاهليون هذا التشبيه لوصف قوة الناقة، وسرعتها، وصبرها، مما جعلها أشبه بسفينة تجوب الصحاري كما تجوب السفنُ البحار. وإذا أردنا استقصاء كل ما قيل في هذا الباب، لاحتجنا إلى مساحة كبيرة، لكن ما ذكرناه يكفي لإيضاح الصورة الأدبية ومدى تأثير البيئة في تشكيل المخيلة الشعرية عند الجاهليين. يقال للجمال: سفن البر، وهي من قوله تعالى:﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾. (سورة يس، آيتا ٤١ و٤٢) وقال بعض العرب في وصف ناقة: ما هي إلا سفينة برية. وقال آخر في فصلٍ: الإبل سفن البر، وجلودها قرب، ولحومها نشب، وبعرها حطب، وأثمانها ذهب. (الثعالبي، لا تا: الباب الثالث والعشرون، الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين من شواهد ٢٣٩)

إن هذا الاستغراق في وصف الناقة هو دليل الإحساس بجلال هذا الكائن الجليل، والاستمتاع بجلاله، إلى حد الإحساس بجلال الكون كله؛ لأن هذا الكائن الموصوف، هو جزء من الكائنات الأخرى الجليلة في الكون، والاستغراق في وصفه دليل إحساس بجلال الكون كله. وفي هذا السياق تقول الدكتورة أميرة حلمي مطر (٢٠٠٢: ١٠٨) «إن الاستجابة الجمالية للفن ليست غاية في حد ذاتها، بل تستمد قيمتها من كونها دالة على الحقيقة العقلية الروحانية، شأنها شأن الاستجابة لجمال الكون والطبيعة باعتبارهما من آثار المبدأ الإلهي المقدس، والعلة الأولى التي تلهم نفوس الصوفية بالشوق الدائم والتطلع إلى معاينة هذا المبدأ والاقتراب منه.» وتستند مطر في فكرتها إلى أفلوطين، الذي يرى أن الموجودات كلها إنما توجد بفضل مشاركتها في الحقيقة العقلية، التي يتحد فيها الوجود بالخير والجمال، ثم تستشهد بقوله «إن كل شيء جميل بقدر ما فيه من وجود.» (المرجع السابق، نفس الصفحة)

وإليك تحليل نماذج شعرية جاهلية مع التركيز على التشبيهات البحرية في وصف الناقة

إن وصف الناقة عند الشعراء الجاهليين، ليس وصفًا خارجيًّا لغويًّا، وليس تقصيًّا تشريحيًّا لجسمها، فهم لا يذكرون عدد أضلاعها، ولا عدد عظامها وفقراتها. ولا يتحدثون عن عضلاتها، بل يعبّرون عن موضوع في داخله، وهذا الموضوع هو تعلقه بالناقة، والتعبير عن الداخل جاء في صورة حسية، كما يرى سانتيانا: «هو تحويل لذات معينة إلى موضوعات خارجية.» (د.ت: ٢١١) فوصف الشكل هو حس، لكنه يدلّ في داخله على روح ومعنى وقيمة. إن وصْفَ الجاهلي الناقة وصفٌ جليل؛ لا لأنه يصف ناقة، بل هو جليل بالتفاصيل التي صوّرها ووصفها. وهذه الكثرة في الأوصاف هي التي تجعل من وصف الناقة موضوعًا جليلًا. كما يرى سانتيانا: «إن الطابع الحسي للموضوع هو ذاته مصدر جلاله.» (د.ت: ١٢٥) وهم يعكسون قوة الطبيعة في مواجهة الإنسان ومنها البحر، وهو موضوع متكرر في الشعر الجاهلي. وفي رؤيتهم البحر رمز للمصير المجهول، حيث يواجه الإنسان قوى طبيعية تفوقه. والسفينة تمثل محاولة البشرية للتغلب على الطبيعة، لكنها في النهاية تُهزم أمام عظمتها.

ونلاحظ الخوف والارتباك الذي يعيشه ملّاح السفينة عند تعرضه لعواصف بحرية خطرة يرمز إلى ضعف الإنسان الجاهلي رغم كل محاولاته، في هذه الأبيات **للأعشى الأكبر**: (البستاني، لا تا: ج١، ٢٣٧)

وَمَـا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيـــجِ الفُـــــــــــــــــراتِ ،جَـــــونٌ، غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمْ

يَكُبُّ الخَلِيّـــــــــــةَ ذاتَ القِـــــــــــــــــلَاعِ قد كاد جؤجؤها يَنْحَطِمْ

تَكَأْكَأَ مَلَّاحُهَا وَسْـــطَهَا، مِنَ الْخَـــوْفِ كَوْثَلَهَا يَلْتَزِمْ

فهي لا تُظهر براعة الشاعر في الوصف فحسب، بل تعكس أيضًا رؤية الجاهليين للبحر كعالم مجهول مليء بالمخاطر من خلال الصور التشبيهية:

تشبيه أمواج البحر المُزبدة بالفرات في قوله: «وَمَـا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيـــجِ الفُـــــــــــــــــراتِ»، حيث شبّه زبد البحر بزبد نهر الفرات؛ فالمشبه به لم يذكر بعد وهو كرم الممدوح، مستخدما نهر الفرات بأمواجه الطاغية والهادئة، بمعناه المجازي للبحر؛ ليس كممدوحه وقت العطاء.

إنما الجون هو من الأضداد يطلقها العرب على الأبيض وعلى الأسود. وهنا وصفٌ للون ماء نهر الفرات وأمواجه العاتية، سواء كانت بيضاء أو دكناء. وغارب كلّ شيء أي أعلاه والمقصود به الأمواج. والخلية هي السفينة الكبيرة؛ والقلاع أي الشراع. وكوثل السفينة ذنبها ومؤخرها وفيه يكون الملاحون وأمتعتهم.

وفي هذه الأبيات يصور الشاعر كرم ممدوحه والفرات إذا أزبد وتلاطمت أمواجه فكبّ السفينة ذات القلاع لوجهها حتى ليكاد صدرها أن يتحطم والملاح يتمايل وسطها وقد لجأ لشدة خوفه إلى مؤخرها، ليس هذا النهر الجياش الفياض في مثل حاله تلك بأجود منه في وقت الجدب حين تصحو السماء وينقطع المطر.

وهنا تشبيه الموج بالمزبد في البيت الأول، يُشبَّه الموج المتلاطم في خليج الفرات بـ"مُزْبِد"، أي كأنه يغلي ويُخرج الزبد مثل القدر المغلي، مما يوحي بالحركة العنيفة والاضطراب الشديد. وتشبيه الملاح بالخائف المذعور في البيت الثالث، يُصوَّر الملاح وهو "يتكأكأ" (يتردد ويخاف) كأنه يلتصق بمؤخر السفينة خوفًا من الغرق، مثل طفل يلتزم بأمه (كوثلها)، مما يضفي طابعًا إنسانيًّا على المشهد.

أما الصورة الكلية للتشبيه فالأبيات تُجسّد قوة البحر (أمواج هذا النهر الجياش الطاغي مجازا بالبحر) بتشبيهه بقدرٍ يغلي، بينما السفينة والملاح كضحايا ضعاف أمام هذه القوة، مما يعزز الإحساس بالصراع بين الإنسان والطبيعة. وهذه التشبيهات تعتمد على التصوير الحركي والعاطفي، مما يجعل المشهد حيًّا ومؤثرًا.

كما نرى نفس هذا النوع من الاستدارة التشبيهية عند **النابغة الذبياني**؛ حيث يقول: (الذبياني، لا تا: ٢٧-٢٨)

فما الفراتُ إذا هبّ الرياحُ له، ترمي غواربُه العِبْرِيْنِ بالزبد

يمدّه كلُّ واد مترع لَجِب فيه ركام من الينبوتِ والخَضَدِ

يَظَلّ من خوفه، الملّاح مُعتَصِما بالخيزُرانةِ، بعد الأينِ والنَجدِ

يوما بأجود منه سيبَ نافلة، ولا يحولُ عطاءُ اليوم دونَ غدِ

يرى الشاعر أن هذا النهر في أكمل أحواله ليس بأجود من ممدوحه؛ مستخدما ما يتعلق بالبحر (نهر الفرات في معناه المجازي بسبب أمواجه الجياشة شُبّه بالبحر)، وتشبيهه بالممدوح. والغوارب أي الأمواج وغارب كلّ شيء ما ارتفع منه وعلا. وعِبرا الوادي جانباه؛ سُمّيا بذلك لأنه يسير إليهما. والزّبَد ما يطرحه الوادي إذا جاش ماؤه واضطربت أمواجه. «يمدّه كلُّ واد» أي يزيد فيه ويقوّيه والمترع المملوء واللجب أي المصوّت؛ لشدّة جريه وقوّة سيله. ومن خوفه أي من خوف الفرات؛ لضطراب أمواجه وشدة هوله كأنه كالبحر. والخيزرانة أي سكّان السفينة. ولا يحول عطاء الممدوح في اليوم دون عطائه في غد. وإنما خصّ النافلة ليبالغ في المدح؛ لأنه إذا أكثر من غير الواجب فهو أجدر أن يُكثر من الواجب.

ومن المجاز سمّى الجاهلى الإبل سفائن البرّ؛ يعنى أن هذه السفائن تمخر رمال الصحاري والبراري كما تسفن السفينة الماء و تمخره و تقشره؛ لأن السفينة من سفن. السَّفْنُ: القَشْر. سَفَن الشيءَ يَسْفِنه سَفْناً: قشره. وهو كما قال الزمخشري (١٩٧٣: مادة س.ف.ن) فى أساس البلاغة من: سفنت الريح التراب عن وجه الأرض. وسفن العود: قشره.

قال **امرؤ القيس**: (٢٠٠١: ١٣٩)

فجاء خفياً يسفن الأرض صدره ترى التربَ منه لاصقاً كلّ ملصق

يعني وصل فجأةً بسرعته التي تغطي الأرض بجسمه، ترى التراب يلتصق به كل شيء يلتصق به. هذا البيت، يصوّر قوة وسرعة لا يمكن وقفها، ربما يرمز إلى قوة طبيعية أو بشرية. إن اللغة القوية والتصوير الفني يعززان المعنى ويجعلان القارئ يشعر بالحركة والقوة. كما أن البيت مكتوب بوزن شعري منتظم يعزز الإيقاع والحركة، مما يتناسب مع المعنى الذي يتحدث عن السرعة والقوة.

أما من ناحية اللغة والأسلوب، فاللغة قوية؛ حيث استخدم الشاعر،كلمات مثل «يسفن» و«لاصقاً» تعزز المعنى القوي للبيت. كما أنه استخدم أسلوبًا تصويريًا ينقل المشهد بوضوح، مما يساعد القارئ على تخيل الحدث بسهولة.

في هذا البيت، يصور الشاعر سرعة الحركة بقوة من خلال صورة «يسفن الأرض صدره»، مما يوحي بقوة وسرعة لا يمكن وقفها. والصورة البصرية: «ترى الترب منه لاصقاً كل ملصق» تصور مشهدًا بصرًا حيث التراب يلتصق بالجسم المتحرك، مما يعزز شعور السرعة والقوة.

إن الدلالات الرمزية في البيت، تكون الرمزية الحركية بحيث يمكن تفسير «يسفن الأرض صدره» رمزيًا كرمز للقوة والسرعة التي لا يمكن وقفها، ربما يشير إلى قوة طبيعية مثل العاصفة أو الرياح. والرمزية الترابية: «التراب يلتصق به» يمكن أن يرمز إلى التأثير الذي يتركه هذا الكائن القوي على البيئة المحيطة به، ربما يشير إلى تأثير الإنسان أو القوة البشرية على الأرض.

وقال **عمرو ابن كلثوم** في معلقته: (١٩٩٤: ١١٠)

مَلأْنا البَرَّ حتى ضاقَ عَنَّا، ومَوْجُ البحر نَمْلَؤُه سَفينا

هذا البيت من الشعر، يصور مشهدًا قويًا للإمتلاء والضيق، ربما يشير إلى الازدحام السكاني أو التوسع البحري.إن اللغة القوية والتصوير الفني يعززان المعنى ويجعلان القارئ يشعر بالضغط والتوسع. ومن ناحية الإيقاع والوزن، يكون البيت مكتوبا بوزن شعري منتظم يعزّز الإيقاع والحركة، مما يتناسب مع المعنى الذي يتحدث عن الامتلاء والضيق. إن للبيت، اللغة القوية باستخدام كلمات مثل «مَلأْنا» و«ضاقَ» تعزز المعنى القوي للبيت. والشاعر استخدم أسلوبًا تصويريًا ينقل المشهد بوضوح، مما يساعد القارئ على تخيل الحدث بسهولة.

ومن ناحية التصوير الفني، إن البيت يصور مشهدًا قويًا للامتلاء والضيق، حيث يُظهر كيف أن الأرض أصبحت ضيقة عنهم، مما يوحي بكمية كبيرة من الأشخاص أو الأشياء. ونلاحظ الصورة البصرية في «مَوْجُ البحر نَمْلَؤُه سَفينا»؛ تصور مشهدًا بحريًا حيث يملأون الموج بالسفن، مما يعزز شعور الامتلاء والضيق.

وإن الدلالات الرمزية فيه، تكون الرمزية الأرضية «مَلأْنا البَرَّ حتى ضاقَ عَنَّا»، يمكن تفسيره رمزيًا كإشارة إلى الازدحام والضغط، ربما يشير إلى تضييق الظروف المعيشية أو الازدحام السكاني. والرمزية البحرية في «مَوْجُ البحر نَمْلَؤُه سَفينا» يمكن أن يرمز إلى التوسع والانتشار.

وإليك نموذجا من معلقة **طرفة بن العبد**، من أشهر شعراء العصر الجاهلي ومن أصحاب المعلقات في تشبيه الناقة بالسفينة؛ حيث قال: (٢٠٠٢: ١٩)

كأَنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّــة، غُــدْوَةً، خَلايا سَفِين بالنَّواصِفِ مِنْ دَدِ

عَدَولِيَّةٌ أَو مِن سَفينِ اِبنِ يامِنٍ يَجورُ بِها المَلّاحُ، طَوراً، وَيَهتَدي؛

منذ البدء تتجلى عظمة الناقة، فالشاعر يبدأ المعلقة بذكر الأطلال، ويشبّهها بالنقش في ظاهر اليد، ثم يذكر إبل المالكية، ويشبهها، في كثرتها وفي ضخامتها وهي مرتحلة في الوادي، بمجموعة من سفن عدولية كبيرة، أو هي من سفن ابن يامن، وهو ملّاح شهير، وهذه السفن تشق بصدرها عباب البحر. ويشبهها، وهي تشق عباب البحر، بحركة ولد يلعب بكومة التراب، وقد وضع في جانب منها قطعة حجر، ثم قسم الكومة بيده إلى نصفين، فيقول: (نفس المرجع)

يَشُقُّ حَبابَ الماءِ حَيزومُها بِها، كَما قَسَمَ التُربَ المُفايِلُ بِاليَدِ

والشاعر يضعنا في ثلاثة أبيات أمام إبل كثيرة عظيمة تقطع الوديان، شبيهة بمجموعة من السفن، يقودها ملّاح شهير. تمخر البحار، ويميل بها ملّاحها في البحر فيخرج عن المسير مرة ويهتدي تارة أخرى. فنحن أمام مساحات واسعة وحجوم ضخمة، وهو شكل من أشكال الإحساس بالجلال، أمام هذه القوافل من الإبل والأساطيل من السفن. وكل ما أتى به طرفة من تشبيهات أو استعارات لتوضيح صورة الناقة يدلُّ على فخامة وعظمة وجلال؛ ففخذاها مصراعا باب في قصر، وهي كالقنطرة، وذيلها يتحرك كأنه جناحا نسر، وتعدو سريعة كأنها الظليم ...وإلخ. إن كل الصور الداعمة والشارحة والمعبرة عن الناقة، صور ضخمة كبيرة واسعة توحي بالجلال والعظمة، وتؤكّد على ما تحمل الناقة من قيم الجلال. هي صور تستثير الإحساس بالقوة والفخامة. (حلبي، ٢٠٢٢)

أما التشبيه الموجود في هذه الأبيات الثلاثة، فهو تشبيه حسّي جميل جدا. شبّه الشاعر أولاً حوادج ومراكب صاحبته «خولة» وصواحبها على الناقة والجمل فى الأماكن المتسعة الموجودة فى وادي دد، بالسفن العظام العدولية المصنوعة فى البحرين؛ بحيث يديرها ابن يامن الملّاح طورًا في سواء السبيل وتارة خارجًا عنه. وكما أن صدور السفينة تشقّ معظم الماء. وبعده شبّه شقّ السفن للماء بقَسم المفائل أى اللاعب بالفئال ترابَه قسمَين متوازيَين.

ومن ناحية الدلالة الثقافية، يكشف التشبيه عن تأثر الشاعر بالبيئة البحرية المجاورة (كالبحرين وعُمان)، حيث نقل صورة الملاحة البحرية إلى البرية، معبرًا عن اتساع الصحراء ورهبتها كالبحر. تحليل الوظيفة الجمالية للتشبيهات، حيث تحوّل التشبيهات البحرية، الصحراء إلى فضاء حيوي متحرك، يشبّه شقّ الإبل للرمال بشقّ السفن لأمواج البحر، معززًا فكرة سفينة البر. والناقة عند الشاعر ليست وسيلة نقل بل رمزًا للبقاء والحرية، كما قال: (طرفة، ٢٠٠٢: ١٩)

وَإِنِّي لَأَمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

حيث تتحول إلى ملاذ نفسي من الهموم. يكون التشبيه عند الجاهليين ولا سيّما طرفة ،كمرآة للبيئة والثقافة؛ أما التفاعل البيئي في أشعاره، فالتشبيهات البحرية في شعر طرفة بن العبد تعكس التلاقح بين بيئتيْ البر والبحر، خاصة في مناطق مثل البحرين وعُمان. والبعد الرمزي للناقة «سفينة البر» ليست مجرد أداة نقل، بل تمثل قيمًا كالصبر والانتماء، كما في قول الباحث أحمد طعمة حلبي: «الناقة عند طرفة توأم روحه، تمنح المعلقة وحدتها الجمالية والوجودية.» (حلبي، ٢٠٢٢)

وهذا البيت الشعري من **الأسود بن يَعْفُر النَّهْشَلِيّ**:

أو الأثأبُ العمُّ الذُّرَى أوْ كأنها خلايا عدوليّ السفينِ المعمنِ (النهشلي، ١٩٧٠: ٦٣).

الذي يكون قبله هذا البيت:

فأضحتْ تراءاها العيونُ كأنها على الشرف الأعلى نخيلُ ابن يامنِ

عمن أي صار إلى عمان. يشبّه الشاعر في هذا البيت، ناقته بالسفينة في تشبيه من النوع المرسل المجمل؛ حيث يصور سرعتها وقوتها في قطع الصحراء كما تقطع السفينة البحر. و**عدوليّ السفين** تشير

إلى السفينة المنسوبة إلى عَدَوْلي، مرفأ بالبحرين على ساحل الجزيرة العربية، وهي مشهورة بصناعة السفن الضخمة والقوية. هذا البيت نموذجٌ رائعٌ لبراعة التشبيه الحسي في الشعر الجاهلي.

وتكون الرمزية فيه، بأنه يُحيل التشبيه إلى ثبات القيم الجاهلية (مثل الكرم) رغم تحرك الحياة كالسفينة، أو يُجسّد صراع الإنسان بين الاستقرار (الشجر) والترحال (السفينة). كما يُظهر اهتمام الجاهليين بالطبيعة وأدوات الحياة (كالسفن)، مع إدراج مصطلحات بحرية (عدولي السفين)، مما يشير إلى معرفة الشاعر بالبيئة البحرية أو التجارية، تُوحي الصورة بالعظمة والرهبة، عبر ربط الشجر الضخم بالسفينة العملاقة، مما يعكس إحساس الشاعر بالانبهار بقوة الطبيعة وصنع الإنسان.

وقال **المرقّش الأكبر** في قصيدة له: (الضبي، ١٩٦٤: ٢٢٧)

لمَنِ الظُعنُ يالضُّحَى طافيات شبْهُها الدومُ أو خلايا سفين

الظعن الإبل بهوادجها فيها النساء ومفردها ظعينة.طافيات أي عاليات كأنها تطفو على الماء. والخلايا جمع الخلية وهي السفينة العظيمة والسفين جمع السفينة.

في البيت الشعري: المشبه هو «الظعن» (النساء اللواتي يرتحلن على الإبل، أو الإبل ذات الهوادج). والمشبه به «الدوم» (نوع من السفن الخشبية القديمة) أو خلايا السفين (أي السفن الكبيرة). وأداة التشبيه «شبهها» ويكون وجه الشبه الطفو والحركة اللطيفة، حيث يشبه حركة الظعن (الإبل أو الهوادج) وهي تسير في الصباح بحركة السفن الكبيرة. يمكن أن نعتبر التشبيه تمثيليا؛ حيث أن وجه الشبه منتزع من متعدد وشُبِّهت مجموعة الظعن يالضُّحَى طافيات بمجموعة دوم (شجرة الدوم) السفن أو السفن الكبيرة في حركتها وانتظامها.

جمالية التشبيه: يوحي التشبيه بالهدوء والجمال في حركة القافلة، حيث يربط بين انسيابية الإبل الممتطاة وسفن كبيرة تمخر المياه. وهذا التشبيه يعكس دقة الشاعر في تصوير المناظر الطبيعية بربطها بالحركة البشرية أو الحيوانية.

قال **بِشْرُ بنُ أَبي خازم** في قصيدة له: (٢٠٠٣: ٧٩)

مُعَبَّدَة السَّقَائفِ ذات دُسْرٍ، مُضَبَّرَة، جَوانِبُها رَدَاحُ

يصف الشاعر ناقة قوية متماسكة البنيان، فشبهها بسفينة ذات هيكل متين «مُعَبَّدَةُ السَّقَائِفِ»، ظهرها صلب كسقف السفينة. ذَاتُ دُسْرٍ أي لها ضلوع قوية كأخشاب السفينة (الدُّسْر). مُضَبَّرَةٌ أي محكمة الصنع. رِدَاحُ يعني جوانبها ثقيلة وقوية.

والصورة التشبيهية؛ المشبه: الناقة، والمشبه به: السفينة، وجه الشبه: متانة البناء والقوة. تكون الدلالات في التركيب الهندسي؛ بما أنه وصف الناقة بتفاصيل تشبه هندسة السفن. والصلابة والثقل في لفظة «رَدَاحُ» التي تُشير إلى القدرة على حمل الأثقال.

استخدم الشاعر تشبيه البر بالبحر، ويركز على هيئة الناقة. والتشبيه يعكس براعة الشاعر في الربط بين البيئات المختلفة، وإسقاط صفات البحر على الصحراء. ومما وصف به البحر والسفن قال بشر بن أبي خازم كان هو وأصحابه فيها، بعد أن يصف ناقته في القوة والقدرة بأنها تجتاز الصحاري البعيدة ولا تشتكي من جراح: (١٩٩٤: ٤٦)

وخرق قد قطعْتُ بذات لوث أمون ما تشكّى منْ جِراح

يصف ناقته العالية ويشبهها بالسفينة وقد تلاعبت بها الرياح، وهذه السفينة قد أوثقت ألواحها خالية من الثقوب مربوطة بالحبال القوية المستحكمة كما أن ناقته موثقة الخلق الضخمة الجسم. كما أن هذه السفينة مطلية بالقير كالبعير المطليّ بالقطران، قائلا: (نفس المرجع: ٤٧)

أُجَالِدُ صَفَّهُمْ وَلَقَدْ أَرَانِي عَلَى قَرْوَاءَ تَسْجُدُ لِلرِّيَاحِ
إِذَا رَكِبَتْ بِصَاحِبِهَا خَلِيجًا تَذَكَّرَ مَا لَدَيْهِ مِنْ جُنَاحِ
يمرّ الموجُ تحتَ مشجّرات يلينُ الماءَ بالخُشُبِ الصّحاحِ
وَنَحْنُ عَلَى جَوَانِبِهَا قُعُودٌ نَغُضُّ الطَّرْفَ كَالْإِبِلِ الْقِمَاحِ

أما فيما يتعلق بتحليل التشبيهات بين الناقة والسفينة في الأبيات المذكورة؛ ففي البيت الأول استعارة تصريحية، المشبه به هو الناقة (القرواء الناقة التي اشتدّ ظهرها وطال سنامها) واستعارها الشاعر ليصف بها السفينة العظيمة؛ إذ جرى تشبيه السفينة بالناقة، على سبيل الاستعارة التصريحية بحذف المشبه (السفينة) والتصريح بلفظ المشبه به (القرواء)، ووجه الشبه: الميلان مع الرياح/ الأمواج. وحركة الناقة وهي تسير تحت تأثير الرياح تشبه حركة السفينة التي تميل مع الأمواج. كلمة **تسجد** توحي بخضوع الناقة لقوة الرياح كما تخضع السفينة للبحر.

في البيت الثاني؛ المشبه الناقة وهي تحمل راكبها (ركبت بصاحبها)، والمشبه به سفينة تجوب الخليج. أما وجه الشبه فهو الحركة في مسطح شاسع (الصحراء/البحر). والدلالة فيه،كلمة **خليجًا** تُستخدم استعاريًا لوصف الصحراء الواسعة، مما يعزز فكرة أن الناقة كالسفينة في اجتياز المساحات الشاسعة. جناح قد يُشير إلى أدوات الملاحة في السفن (مثل الأشرعة)، مما يعمق التشبيه.

ويقول في البيت الثالث واصفا السفينة وهي تجري فوق الماء وتشقّ العباب بأخشابها القوية. المشجّرات أراد بها السفن، وهي على هيئة الأشجار والخشب الصحاح أي الأخشاب القوية السليمة من كل عيب.

أما البيت الرابع فالتشبيه المزدوج فيه؛ يكون التشبيه الأول ضمنيّا، والمشبه الركّاب على جوانب الناقة، والمشبه به بحارة على متن سفينة، ووجه الشبه الجلوس الجانبي والتحكم في الاتزان. والتشبيه الثاني صريح؛ والمشبه الركاب يخفضون أبصارهم (نغضّ الطرف)، والمشبه به الإبل القماح (الإبل التي ترفع رأسها عن الماء فلا تشرب لعلة ما)، وجه الشبه الحذر وضبط النفس. والدلالة في البيت، أن الشاعر يُصور الركاب وهم يحاذرون الحركة المفاجئة للناقة، كما يفعل البحارة مع السفينة في الأمواج العاتية.

هذه الأبيات تُبرز التماهي بين عالمي البر والبحر في الشعر الجاهلي؛ حيث الناقة ليست وسيلة نقل فقط، بل سفينة برية بكل خصائص الملاحة البحرية. والتشبيهات تعكس براعة الشاعر في تحويل اليومي إلى ملحمي.

قال **زهير بن أبي سلمى** في قصيدة له: (٢٠٠٥: ٤١)

يَغْشَى الحُدَاةُ بِهِمْ وَعْثَ الكَثِيبِ كَمَا يُغْشِي السَّفَائِنَ مَوْجَ اللُّجَّةِ العَرَكُ

يصور الشاعر قومًا يسيرون في رمال الصحراء (الوَعْث) بسرعة وتعب، فيشبه حركتهم بسفن تغوص في أمواج البحر الهائجة. فكما أن الأمواج العاتية تُغطي السفن، فإن الرمال المتراكمة (الكثيب) تُغطي أقدام المسافرين. قصد الشاعر أنهم اختزلوا الطريق وجابوا الرمال حتى غاصت الأقدام فيها.

تكون الصورة التشبيهية في البيت هكذا: المشبه الحُدَاة (المسافرون) في رمال الصحراء. والمشبه به السفائن في أمواج البحر، يكون وجه الشبه الغوص والانغماس في الرمال/ الأمواج وأداة التشبيه: «كما» (تشبيه صريح).

وإن الدلالة الفنية، توازي البيئتين (الصحراء/البحر)، والرمال كالأمواج، والمسافرون كالسفن. إبراز مشقة السفر عبر التشبيه بالبحر العاتي. يُبرز المشقة في السفر الصحراوي، حيث يصبح اجتياز الرمال كاجتياز بحر هائج باستخدام التشبيه لربط البيئتين (الصحراوية والبحرية) بطريقة حيوية تعكس

قوة الطبيعة. استخدم الشاعر تشبيه البر بالبحر، مركّزا على حركة المسافرين. والتشبيه يعكس براعة الشاعر في الربط بين البيئات المختلفة، وإسقاط صفات البحر على الصحراء.

وصف **أبوذؤيب الهذلي** الناقة وقد شبّهها بالسفينة الكبيرة، قائلا: (الحموي، ١٤١٤: ج ٦، ٢٥١٨)

وَتَهْفُو بِهَادٍ لَهَا مَيْلَعٍ كَمَا أَقْحَمَ القَادِسَ الأَرْدَمُونَا

يصف الشاعر ناقته وهي تسير بسرعة وثبات على أرض مستوية، فيشبه حركتها بسفينة القادس (السفينة الكبيرة) وهي تنطلق بقوة في البحر. فالناقة هنا تُقارن بالسفينة من حيث القوة والسرعة والثبات. يُعد هذا البيت نموذجًا لـتشبيه الناقة بالسفينة في الشعر الجاهلي، حيث يعكس قدرة الشاعر على الربط بين عناصر الطبيعة المختلفة (الصحراء والبحر). كما يبرز قوة الناقة وسرعتها من خلال تشبيهها بسفينة ضخمة تنطلق بقوة، مما يعزز فكرة أن الناقة هي وسيلة الجاهلي الأساسية في البر كما السفينة في البحر.

تكون الصورة التشبيهية في المشبه الناقة وهي تسير (تَهْفُو)، والمشبه به: سفينة القادس (القَادِسُ الأَرْدَمُ)، وجه الشبه: الاندفاع القوي والثبات في الحركة، وأخيرا أداة التشبيه: «كما» (تشبيه صريح). والناقة تسير بسهولة على أرض ممهدة، مما يعزز تشبيهها بسفينة تنزلق في الماء كبيرة وهي قوية مثل السفينة الضخمة التي لا تعيقها الأمواج.

اما من ناحية الأبعاد الفنية فالمقارنة بين البر والبحر؛ حيث ينقل الشاعر صورة حركة الناقة في الصحراء إلى حركة السفينة في البحر، مما يعكس تشابهاً بين البيئتين. وقوة الناقة، التشبيه بـالقادس (سفينة حربية) يوحي بأن الناقة ليست سريعة فحسب، بل قوية وقادرة على التحمل.

وهذا هو **المسيّب بن عَلَس** يستخدم الشراع وسيلة من وسائل التشبيه، بحيث شبّه عنق صاحبته وهى تمدّه، بشراع السفينة وأراد طوله وامتداده؛ لأن طول العنق صفة جماليه عند الجاهليين؛ قائلا فى وصف الناقة: (الدينورى، ١٤٢٣: ج ١، ١٧٦)

وكأنَّ غارِبَها رِبَاوَةُ مَخْرِمٍ وتَمُدُّ ثِنْىَ جَدِيلِها بشِراعِ

أراد الشاعر أن ناقته تمد جديلها بعنق طويلة، والجديل أي الزمام. وأراد أن يشبه العنق بالدقل، وهو الذي تسميه البحرية الصاري والعرب تفعل ذلك تجوزا، فشبهها الشاعر بالشراع. يصف الشاعر في هذا البيت، سفينةً أو مركبًا يشبه غاربها (مؤخرتها أو جزءها الخلفي) « رِبَاوةُ مخرم»، أي كأنها قطعة خشب محكمة الصنع، ثم يتابع وصف حركتها بأنها تمد «ثني جديلها» (التواءات حبالها أو أشرعتها) بشراع، مما يوحي بقوة اندفاعها وانسيابيتها في الماء.

إن هذا البيت، يُبرز مهارة الشاعر في الجمع بين الدقة الوصفية والقوة التصويرية، حيث حوّل مشهدًا عاديًا (حركة السفينة) إلى لوحة فنية حية. وهو مثال رائع على شعر الوصف الجاهلي الذي يعتمد على الإيجاز والتصوير البليغ. يُعتبر هذا البيت نموذجًا للشعر الجاهلي الذي يعتمد على وصف الطبيعة والأدوات الحربية أو البحرية بدقة. يعكس اهتمام الجاهليين بوسائل النقل (كالإبل والسفن) كرمز للفخر والتفوق. قد يكون الشاعر يصف سفينةً استخدمها في غزو أو سفر، مما يدل على أهمية البحر في حياة بعض القبائل العربية.

والصورة الفنية تمثّلت في تشبيه مرسل حيث شبّه مؤخرة السفينة برباءة مخرم، وهي قطعة خشب محكمة الصنع، مما يعطي انطباعًا بمتانتها ودقة صنعها. والحركة الديناميكية، استخدام الفعل **تَمُدُّ** مع **ثني جديلها** يُظهر امتداد الأشرعة بقوة، مما يعكس سرعة السفينة وانسيابيتها. والإيحاء بالخفة والقوة في كلمة شِرَاعِ ترمز إلى القوة الدافعة، بينما «ثني جديلها» يوحي بالمرونة والانسياب.

ومن ناحية الدلالة النفسية والاجتماعية، فيُظهر البيت براعة الشاعر في الوصف الحركي، حيث يجعل القارئ يتخيل السفينة وهي تنطلق بقوة. ويعكس قيمة الإتقان في الصناعة (مثل تشبيه السفينة بخشب محكم)، مما يدل على تقدير العرب للصناعات الدقيقة.

وفي هذا المنطلق، قال **المَثقَّب العَبْدي** (الضبي، ١٩٦٤: ٢٨٨)

وَهُنَّ كَذاكَ حينَ قَطَعنَ فَلْجاً كَأَنَّ حُمولَهُنَّ عَلى سَفينِ

يُشَبَّهْنَ السَّفِينَ وهُـــنَّ بُخْتٌ عُرَاضَاتُ الأَباهِرِ والشُّؤُونِ

هذا البيت الشعري للمثقب العبدي يمتاز بقوة التصوير والبلاغة، حيث يُظهر مهارة الشاعر في استخدام التشبيه المرسل ففي قوله «وُهُنَّ كَذاكَ حينَ قَطَعنَ فَلْجاً»، يصور الشاعر قوة الإبل وسرعتها وهي تعبر الوادي (الفَلْج)، مما يعكس براعته في وصف الطبيعة. ثم يأتي التشبيه «كَأَنَّ حُمولَهُنَّ عَلى سَفينِ» ليضيف بعدًا بصريًّا أخّاذًا، حيث يشبه الإبل المحمَّلة بالسفن التي تجري في الماء، مما يوحي بالخفة رغم الثقل. يُبرز البيت أيضًا مهارة الشاعر في الجمع بين الواقع والخيال، حيث يحوّل مشهدًا عاديًا (قطع الإبل للوادي) إلى صورة حيوية مليئة بالحركة. كما يعكس أسلوبه المباشر والحيوي، الذي يميز الشعر الجاهلي في تصوير الحياة البدوية. أخيرًا، يُظهر البيت دقة الشاعر في اختيار المفردات، مثل «قَطَعنَ وسَفينِ»، مما يعمق الإحساس بالسرعة والانسيابية.

في البيت الثاني، يصف الشاعر مشهد رحيل النسوة على الإبل بأسلوب تصويري، مقارناً إياهن بالسفن في جريانهن، مع التركيز على صفاتهن الجسدية الفريدة. يشبّه الشاعرُ الإبلَ (النوق) البُخت –وهي الإبل القوية والنفيسة – بالسفن في جمالها وقوّتها وسرعتها، مع التركيز على ضخامة أجسامها واستوائها. وأما تشبيه الناقة بالسفينة في هذا البيت الشعري من حيث الشكل والهيئة؛ فلأن السفينة تكون كبيرة الحجم، عريضة الظهر، ممشوقة القوام، وكذلك الناقة البخت «عُرَاضَاتُ الأَباهِرِ» (عريضات الظهور)، مما يعطي انطباعًا بالقوة والامتلاء. والسفينة تمتاز بانسيابية حركتها في الماء، والناقة تمتاز بانسيابية مشيتها في الصحراء، كأنها تُجْري في الرمال كما تجري السفينة في الأمواج. والسفينة تتحمّل أعباء السفر والبحر الشاقّ، وكذلك الناقة البخت تتحمّل مشاقّ الصحراء وقطع المسافات الطويلة. أما من حيث القيمة والرفعة، فالسفينة تُعدّ من أنفس الممتلكات عند البحّارة، وكذلك الناقة البخت كانت من أنفس الممتلكات عند العرب، لندرتها وقدرتها على السفر والغزو.

أما السبب في هذا التشبيه، فبما أن العرب قديمًا كانوا يربطون بين عالمي البحر والصحراء، فالسفينة هي وسيلة قطع المسافات في الماء، والناقة وسيلة قطع المسافات في البر، وكلتاهما رمز للقوة والحركة والجمال. في الواقع، إن الشاعر هنا يجسّد روعة الإبل البخت بتشبيهها بالسفن، ليُظهر ضخامتها وجلالتها، ويُبرز مهارتها في قطع الفيافي بسلاسة تشبه انسياب السفن في البحر. وقال أيضا: (المرجع السابق: ٢٩١)

كأنّ الكُورَ والأنساعَ منها على قرواءَ ماهرة دهينِ

يشقّ الماءَ جؤجؤُها ويعلُو غواربَ كلّ ذي حَدَب بطينِ

غدَتْ قَوداءَ منشقّا نساها تجاسَرُ بالنُّخاعِ وبالوتينِ

الجؤجؤ صدر السفينة والحدب أي ارتفاع الموج. القرواء أي سفينة طويلة القرا وهو الظهر، والماهرة أي السابحة. في البيت الشعري: المشبه هو "الكور" (السرج) و"الأنساع" (الأحزمة الطويلة)؛ والمشبه به "قرواء ماهرة دهين" (أي جمال أو دواب ماهرة مدهونة بالزيت لتسهيل حركتها). وأداة التشبيه "كأنَّ" (تفيد التشبيه الصريح). ووجه الشبه الإحكام والليونة في الحركة، حيث يشبه السرج والأحزمة على ظهر الناقة بجمال مدهونة تسير بسلاسة. والتشبيه هو صريح (باستخدام "كأن"). وباعتبار

وجه الشبه، يمكن أن نعتبره تشبيها تمثيليا، حيث أنه منتزع من متعدد وشُبِّهت مجموعة (الكور والأنساع) بمجموعة أخرى (القرواء الماهرة).

وجمالية التشبيه: يوحي التشبيه بالخفة والإتقان في حركة الدابة، حيث يربط بين إحكام السروج والأحزمة وسلاسة الجمال المدربة، مما يعطي صورة حيوية دقيقة.

وقال **بشامة بن عمرو**، شاعر محسن مقدم، وهو خال زهير بن أبي سلمى، في قصيدة مطلعها: (الضبي، ١٩٦٤: ٥٥)

هجرت أمامةَ هجرا طويلا وحمّلَكَ النأيُ، عبئا ثقيلا

واصفا ناقته: (المرجع السابق: ٥٨)

وإن أدبرتْ، قلتَ مشحونة أطاع لها الريح قِلعا جَفولا

شبهها بسفينة مملوءة لأنه أقوم لسيرها. أطاع بمعنى جعله يطيع والقلع أي الشراع. الجفول التي تنجفل أي تسرع.

يشبه الشاعر الإبل (التي أدبرت) بسفينة مشحونة تُطِيعُ الرِّيحَ في حركتها. إن المشبه هو الإبل التي تتراجع أو تهرب (أدبرت)؛ والمشبه به السفينة المشحونة (مشحونة) التي تتحرك بقوة الريح. وجه الشبه السرعة والانسيابية في الحركة، حيث تُقارن حركة الإبل المندفعة بحركة السفينة المسرعة بالرياح. استخدام كلمة «جفولا» (التي تعني تسرع من الفزع أوالهروب) يعمق الصورة، حيث تُظهِر الإبل ككائن حي سريع الاستجابة. إن هذا التشبيه، يعكس براعة الشاعر في الربط بين عالمي البر (الإبل) والبحر (السفن)، مما يعطي البيت حيويةً ودقةً تصويرية.

وقصارى القول، إن الدراسة تكشف أن تشبيه الناقة بالسفينة في الشعر الجاهلي لم يكن مجرد تقنية بلاغية، بل يعكس عمق التفاعل بين الجاهليين وبيئتهم. كما يؤكد هذا التشبيه على معرفة الجاهليين بالبحر، مما ينفي الزعم بأنهم كانوا يجهلونه أو يخافونه. ويبقى هذا التشبيه شاهدا على ثراء الخيال الشعري الجاهلي وقدرته على توظيف البيئة في بناء الصور الفنية. من خلال هذه العبارات والأشعار، نلاحظ بأن الناقة كانت وما زالت ذات أثر كبير في الأدب الجاهلي؛ بحيث تداخلت أخبارها في هذا الأدب كثيرا. ونظرا إلى أهميتها فى نفوس العرب الجاهلى، فقد جعلها الشعراء مدار وصفهم تارة ومدار فخرهم تارة أخرى، وقامت خلافات ومعارك كثيرة حولها.

وهذه الأبيات تُجسّد براعة الشعراء الجاهليين في توظيف التشبيهات البحرية لوصف الصحراء؛ حيث حوّلوا الراحلة إلى سفينة، وجعلوا الصخور أمواجًا، وصوّروا السهوب كبحارٍ شاسعة. كل ذلك بهدف إبراز قوة الناقة ومشقة الرحلة في المخيلة العربية الجاهلية.

نتائج البحث:

بناء على الأسئلة المطروحة أعلاها والبحث فيها، سينتهي بنا إلى استخلاص جملة من الخصائص التي اتّسم بها هذا الموضوع، وهو ما أفضى بنا إلى جملة من النتائج:

١- استخدم الجاهليون تشبيه الإبل بالسفن في البر نظرًا لدورها في التنقل والحمل، وهناك وظيفة مشتركة بين كل من الإبل والسفن؛ حيث كانت أدوات حيوية للتجارة والترحال في الصحراء والبحر، مما يجعلها ركيزة اقتصادية واجتماعية. ورغم هذا التشابه الوظيفي، فإن الإبل كانت أكثر حضورًا في الشعر الجاهلي لارتباطها المباشر بحياة البدوي، بينما السفن ظهرت في سياقات محدودة مثل غزوات البحر أو قصص الغرق.

٢- تكشف هذه التشبيهات عن تأثير الثقافة البحرية (كالتجارة مع اليمن وعُمان) في تشكيل الصور الشعرية لدى بدو الصحراء. في العصر الجاهلي وفي الجزيرة العربية، اعتمد الناس على وسائل نقل

محدودة بسبب طبيعة الصحراء القاسية وندرة الموارد. كانت وسائل النقل الرئيسية تعتمد على الحيوانات والمشي على الأقدام. وكان الاعتماد على الحيوانات، فكانت جميع وسائل النقل تقريبًا تعتمد على الحيوانات (إبل، خيول، حمير، بغال)؛ من أجل الملاءمة مع البيئة الصحراوية وقدرتها على تحمل الظروف القاسية مثل الجمال التي تتحمل العطش.

٣-كانت وسائل النقل جزءًا من ثروة القبيلة ومكانتها، فامتلاك الإبل والخيول الكثيرة كان دليلًا على القوة والنفوذ ويدلّ على الأهمية الاقتصادية والاجتماعية.

٤- ارتبطت الإبل بالصبر على مشاق الصحراء، أما السفن فارتبطت بمخاطر البحر، مما يعكس ثنائية التحدي والبقاء كالرمزية الثقافية. وتشبيه الإبل بالبحر أو السفن بسبب قدرة الإبل على قطع الصحاري الشاسعة، شبهوها بسفن البر أو جِيَاد الصحراء. أي أن الإبل تسير مثل السفن الجارية على الماء، لكنها تجري في الصحراء.

٥- اعتمد الشعراء الجاهليون على تشبيهات مستمدة من الطبيعة (البحر، البرق، الطيور، الأفاعي) والحياة اليومية (السفن، السيوف) لوصف حركة النقل والتنقل، مما يعكس قوة التصوير البياني في شعرهم وأدبهم. هذه التشبيهات لم تكن مجرد أوصاف، بل كانت تعبر عن قيمة الحيوانات ودورها المحوري في حياة العربي الجاهلي، سواء في السلم أو الحرب. كما اعتمدوا على التشبيه لوصف الناقة، مستخدمين مفردات تدل على القوة والسرعة والتحمل، مثل: سفينة البر، الشراع والعنق الطويل، الخلايا والعدولية، المجداف والحركة ...إلخ.

٦- تكشف هذه التشبيهات عن التكيف مع البيئة؛ حيث يعكس التشبيه تفاعل العرب مع بيئتين متباينتين (الصحراء والبحر). كما تدلّ على الخيال الشعري؛ حيث استخدم الشعراء التشبيه لتعظيم دور الناقة، وجعلها رمزاً للقوة والتحمل كالدلالات الثقافية والبيئية.

٧- إن أوجه الشبه بين الناقة والسفينة؛ عادة القدرة على حمل الأثقال؛ فالناقة تحمل المتاع والركاب كما تحمل السفينة البضائع والمسافرين؛ وقطع المسافات الطويلة؛ فكلتاهما تُستخدم في السفر البعيد، والتأثر بالعوامل الطبيعية؛ حيث أن الناقة تتأثر بالرياح والعطش كما تتأثر السفينة بالأمواج والعواصف.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

ابن حجر الكندي، امرؤالقيس (١٤٢١هـ/٢٠٠١م). **الديوان**، شرح غرَيْد الشيخ. الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ابن أبي سلمى، زهير (١٤٥٦هـ/٢٠٠٥م). **الديوان**، شرح حمدو طمّاس. الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة.

ابن العبد، طرفة (١٤٢٣ه/٢٠٠٢م). **الديوان**، شرح مهدي محمد ناصر الدين. الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كلثوم، عمرو (١٤١٤هـ/١٩٩٤م). **الديوان**، شرح الدكتور عمر فاروق الطباع. بيروت: دار القلم.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٤٠٥هـ/١٣٦٣ش) **لسان العرب**. قم: نشر أدب الحوزة.

الأسدي، بشر بن أبي خازم (١٤١٥ق/ ١٩٩٤م). **الديوان،** قدم له وشرحه: مجيد طراد، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العربي.

البستاني، فؤاد أفرام (لا تا). **المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخو**. الطبعة الثانية، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

البغدادي، عبد القادر (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،** تحقيق عبد السلام محمد هارون. الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (لا تا). **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب،** القاهرة: دار المعارف.

الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (٢٠٠٣م). **الحيوان،** شرح وتحقيق د.يحيى الشامي. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

حلبي، أحمد طعمة (٢٠٢٢م). «*تجليات الجليل في معلقة طرفة*»، المنشور في مجلة *"Al-Andalus Magreb" التابعة لجامعة قادس بإسبانيا*. (العدد ٢٩،٢٦ ژوليو).

الحموي، ياقوت (١٤١٤هـ). **معجم الأدباء.** الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الدينوري، ابن قتيبة (١٤٢٣هـ.ق). **الشعر والشعراء.** القاهرة: دار الحديث.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٤٢٠هـ.ق). **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء.** الطبعة الأولى، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٧٣م). **أساس البلاغة.** الطبعة الثانية، مصر: دار الكتب.

سانتيانا، جورج (د.ت). **الإحساس بالجمال،** ترجمة: د. محمد مصطفى بدوي، مراجعة: د. زكي نجيب محمود. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

الضبي، محمد بن يعلى بن عامر (١٣٨٣ق/ ١٩٦٤م). **المفضليات،** تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، الطبعة السادسة، القاهرة: دار المعارف.

القيرواني، إبراهيم بن علي (لا تا). **زهر الآداب وثمر الألباب**. بيروت: دار الجيل.

مطر، أميرة حلمي (٢٠٠٢م). **فلسفة الجمال: أعلامها ومذاهبها.** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (لا تا)**.ديوان،** تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. الطبعة الثانية، دار المعارف.

النهشلي، الأسود بن يعفر (١٣٩٠ه/ ١٩٧١م). **ديوان،** صنعه الدكتور نوري حمودي القيسي. وزارة الثقافة والإعلام: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الجمهورية.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (١٤٢٣هـ). **نهاية الأرب في فنون الأدب**. الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

الهاشمي، أحمد (١٤١٠ه.ق). **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**. الطبعة الثانية، مكتب الإعلام الإسلامي.